

## في وداع حاتم علي.. أيقونة الدراما السورية

فجع الوسط الفني صباح الثلاثاء بوفاة المخرج السوري الكبير حاتم علي، الذي وافته المنية عن عمر 58 سنة إثر نوبة قلبية أصابته، ليصبح هذا الخبر الحزن في قلوب محبيه وأقاربه، ويشكل صدمة لكل من تابع أعماله وأحبّه وأحبها.

التجمع الضخم والهائل لأهم نجوم الدراما العربية حينها، كما أنه يعتبر المخرج السوري الأول الذي أمن بأهمية "الماكيبير" في الأعمال الدرامية وخاصة التاريخية منها، فقام باستقدام أهم مصممي المكياج في إيران لمساعدته في تنفيذ معظم الأعمال التاريخية.

صحيح أن حاتم علي، كان خريج مسرح، بحكم أنه لا توجد في سوريا معاهد للسينما، إلا أن تجربته المسرحية كانت محسوسة للغاية ربما لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، ولكنها كانت تجارب مهمة سواء على صعيد التمثيل أو الإخراج أو حتى كمشارك في التأليف. لكنه ظل لسنوات أثير حبه للسينما، وكان يتمتع في كل عمل درامي تاريخي كبير يقدمه أن يحوله، الأمر الذي كان يدفعه في مرات كثيرة إلى استخدام كاميرات السينما، مع كل ما تعنيه تلك الخطوة من صعوبة بالنسبة إلى المخرج، ولكنه لم يغمض بالأسف أي أجزاء من تلك الأعمال لتحويلها إلى فيلم سينمائي كما كان ينوي.

رغم ذلك أخرج عدة أعمال سينمائية كان من أهمها عمل بعنوان "سليمان" من نوعيه الموزيكل، وكان من تأليف الرحابنة ومن إنتاج نادر الآتاسي، ولعبت دور البطولة فيه الفنانة اللبنانية ميريام فارس. أما الفرصة السينمائية الحقيقية، فكانت في العام 2008 حين أخرج الفيلم الروائي الطويل "الليل الطويل" من بطولة كل من خالد تاجا، وهو الفيلم الذي كتبه المخرج هيثم حقي، واستطاع الفيلم أن يشترك في عدة مهرجانات سينمائية عربية وأجنبية ونال بعض الجوائز.

### حاتم علي كان ممثلاً بارعاً أمام الكاميرا وأثبت موهبته التي فتحت له الباب على مصراعيه ليشارك في عدة أعمال تلفزيونية

وحقق حاتم علي شهرة واسعة وسمعة طيبة في مجال الدراما كمخرج وكاتب، الأمر الذي دفعه إلى تأسيس شركة لإنتاج الفني في دمشق، فقام بإنتاج مجموعة من الأعمال الدرامية نذكر منها مسلسل "علاقات شائكة" و"طوق الياسمين" وغيرهما، وكان مؤخرًا بصدد إنتاج الفيلم الروائي الطويل الأول لابنه عمرو علي، الذي حصل على منحة أخيراً من مهرجان القاهرة السينمائي الدولي عن النص الذي كان قد كتب السيناريو له. وبعد الأحداث الدامية في سوريا انتقل وعائلته زوجته المحامية وخريجة قسم التمثيل أيضاً دلع الرجبي وأولاده للإقامة بشكل مؤقت في القاهرة، وقدم خلال إقامته وقيل أن ينقل للعيش في كندا، عدة أعمال درامية هامة كان أحدثها مسلسل "أهو ده اللي صار" من بطولة سوسن بدر.

ويبقى حاتم رغم رحيله أيقونه من أيقونات الدراما العربية وليس فقط السورية، وواحد من أهم الشخصيات السورية أخلاقاً ودمائياً واحتراماً، وبرحله هذا ستخسر الدراما العربية رائداً من روادها.



رحيل مبكر لمبدع في الدراما العربية

### لمى طيارة كاتبة سورية

دمشق - قبل عدة شهور كنا نحضّر لكتاب حول فلسطين في السينما العربية، وكنت أحاول أن أضيف للكتاب كل التجارب الدرامية الإنسانية التي قام بها المبدعون العرب. ولأن "التغريبية الفلسطينية" يعدّ واحداً من الأعمال الدرامية الخالدة التي لا يمكن أن ننساها الذّاكرة، فقد تواصلت مع المخرج حاتم علي لأطلب منه مشاركة تتضمن تجربته الشخصية، لكن الظروف لم تسمح بسبب انشغاله وتأخره في تلبية الطلب، فلم ننضم مداخلة التي لم تصلنا رغم موافقته ورغبته الحقيقية والصادقة في المشاركة.

وبدأت علاقة حاتم علي بالدراما بعد تخرجه في المعهد العالي للفنون المسرحية من قسم التمثيل، حيث شارك في عدة أعمال درامية تلفزيونية كان أهمها في تلك الفترة مسلسل "هجرة القلوب إلى القلوب" الذي قدمه للمجمهور السوري كممثل ربما للمرة الأولى. وكتب العمل عبد النبي حجازي رحمه الله، وأخرجه هيثم حقي، ولعب فيه دوراً لا يشبهه أبداً، لدرجة أن البعض كان يستغرب كيف يمكن لهذا الشاب اللطيف والوديع أن يتمكن منه، لكنه أمام الكاميرا كان ممثلاً بارعاً، أثبت موهبته التي فتحت له الباب على مصراعيه. ولحقاً شارك في عدة أعمال تلفزيونية سواء مع مخرجين محترمين لهم باعهم أمثال غسان جبوري وهيثم حقي ومأمون البني أو مع مخرجين شباب دون أي تحفظ أمثال رامي حنا. وكان من أهم أعماله كممثل "الكابوس"، "الخشخاش"، "قصة حب عادية"، "أحلام مؤجلة"، "عصي الدمع" وغيرها.

لكن حاتم لم يكتفِ بذلك بل لعب الممثل أمام الكاميرا، فقدم ما جذب دور المخرج الذي يقبع خلفها، فبدأ بحوض تجربة الإخراج تدريجياً، وبدأ في لعب دور المخرج منذ منتصف التسعينات وكان من أجمل ما قدم في تلك الفترة مسلسل "الفصول الأربعة" الذي ما زال من بعض الفصول السورية تعيد عرضه بين فترة وأخرى، وكان من بطولة نخبة كبيرة جداً من نجوم الفن السوريين، نذكر منهم جمال سليمان، سليم صبري، سلمى مها المصري، يارا صبري، ليلى جبر، أندريه سكاك ورامي حنا.

ثم بدأ يلعب في الأعمال التاريخية فقدم على سبيل المثال مسلسل "الزير سالم" و"صقر قريش" و"صلاح الدين الأيوبي" و"ربيع قرطبة" وغيرها، ثم اتجه إلى مصر في العام 2007، ليقدّم مسلسل "الملك فاروق". وكان له السبق في قيادة الأعمال التي تضم العديد من النجوم العرب جنباً إلى جنب مع النجوم السوريين، نذكر من تلك الأعمال "الشاروق" الذي صوّر جزءاً كبيراً منه في المغرب، ومسلسل "الزير سالم"، و"التغريبية الفلسطينية" والذي يعتبر واحداً من أهم الأعمال الدرامية التي تحكي الوجود الفلسطيني وأجزمت أنها لن تكرر مرة أخرى، لا بتلك الخصوبة في السيناريو أو بتلك العذوبة من حيث الإخراج، ولا بكل ذلك

ويرفض عبدالرازق، في حديثه لـ"العرب"، القول إن الدراما المصرية تتسم بأنها تسير في موجات تأخذ قدراً من الوقت قبل أن تختفي، فحين نجحت أعمال الكوميديا نشأت مسلسلات "السبت كوم" حتى أنزوت، وعندما وجدت أفلام الحركة نجاحاً تبعها سلسلة من أعمال درامية تحمل الأهمية ذاتها. ووفقاً للمركز القومي للبحوث الاجتماعية (جهة رسمية) ينفق المصريون على فكة الأعمال والسفر نحو 1.1 مليار دولار، بينما ترفع بعض الدراسات المستقلة الرقم إلى 2.5 مليار دولار سنوياً.

لكن الناقد الفني المصري، يؤكد أن نمط معالجاتها يؤيد الخرافة وليس محاربتها، ففي النهاية تنتصر القوى الغيبية على العلم أو يتم طردها لتجد وعاء تستضيفها، عكس الدراما العالمية التي ينتصر فيها الإنسان أو الدين أو العلم على القوى الظلامية.

## مسلسل تراجيدي يتجاوز الحدود منغمس في الترويج للصوفية

«جمال الحريم».. دراما مصرية تعيد اكتشاف الفنانة اللبنانية نور



### اتجاه درامي يجد شعبية جماهيرية

على ميثاق الزواج الغليظ، وفي المقابل رجل أعمال يتخلى عن شريكة العمر أثناء إجرائها عملية قلب مفتوح ويقترن بالحياة، فعبر طاقته تنتهي الأناثية وتقدير الذات، وينتقل العشق الإلهي إلى كل الموجودات، باعتبارها تحمل جميعاً الأصل ذاته، وصولاً إلى القلوب الصالحة التي تعيش على الاستغناء، وتملك عيون الحقيقة وتميز الصواب من الخطأ. ويقدم العمل نموذجين للصوفية أحدهما من الماضي للشيخ حسن (الفنان صلاح عبدالله) الذي يحاضر في مريديه بأن النفس أصل الغرور، والغرور يفتح باب اللعنة على الشيطان، فشعور الإنسان باختلاف أكبر خدعة تحول نفسه إلى صحراء ليس فيها سوى الفراغ والصمت وتعيرها لا يأتي إلا بالمقاومة. ونموذج آخر للشيخ إبراهيم (الفنان إيهاب فهمي) الذي يشجع نجله على المشاركة في مبادرات تنظيف الميادين من القمامة ولا يعترض على مصادقته لفتاة غير محببة.

### انتصار الخرافات

جانب العمل الصواب بربط بداية الأحداث بشهر رمضان الذي تغل فيه الشياطين دون سياق درامي يبرر ذلك التوقيت الزمني، باستثناء محاولة توضيح اهتمام المذبة نور بالتراث الثقافي والمنشآت التراثية ورسم صورة مثالية لمعد برنامجها يوسف (الفنان خالد سليم)، الذي يواظب على حضور الحضرات الصوفية وهجر والده صاحب الملايين لشكة في مشروعية أمواله. لم يمهّد المسلسل كثيراً لشخصياته فإخذنا معهم فجأة في صراعاتهم دون قاعدة نستند عليها حول أدوارهم وشخصياتهم، ما أثار التباساً في التمييز بين الواقع والخيال، خاصة في شخصية نور التي تقوم بدور مذبة وفي الوقت ذاته حفيذة الشيخ حسن، ما إذا كانت الأحداث حقيقة أم حلماً من أحلامها.

وجاء الحوار حاملاً قدراً من التناقضات من المشاهد الأولى، كحديث نور مع والدتها حول ضرورة حضورها الإفطار مع شقيقها وإعداد مشرويتها الرمضانية المفضل، والذي يشي بعدم رؤية بعضهما منذ فترة طويلة، قبل أن يتبين في المشهد التالي أنهما يقيمان معا باستمرار، أو تبرير الكره لفريد نجل شقيقها التي توفيت أثناء ولادته. ويفتح المسلسل مسارات جانبية لإطالة الأحداث لا ترتبط بسياقه الأصلي مثل قصة بائنة الغلال وابتهاج اللتين تقيمان بحسب شعبي فقير، أو صديق يوسف الذي لا يمل من الشكوى من ظروفه المالية بسبب مصاريف الأبناء، وعدم استماعه لنصيحة أصدقائه بتأجيل الإنجاب، والقصتان لا تقدمان أي إضافة إلى السياق الأصلي. يلعب "جمال الحريم" على المقارنات بين أبناء يبيزون أسرهم ورجال يحافظون

يتجاوز مسلسل "جمال الحريم" المسارات المعتادة للتراجيديا ودراما الرعب في مصر، بالغوص في عالم الجن وتفصيله، مع قدر كبير من الترويج للصوفية الحديثة التي خلعت البردة، واندمجت في الحياة بصورة كبيرة، وأوجدت لها مساحة في الأعمال الفنية، ولم تعد مقتصرة على حلقات الذكر التقليدية.

لملمس ناعم لا ينصرفون بآيات القرآن، وتمادي العمل في ذكر تفاصيل كثيرة عن عالم الجن ذاته، بأسماء ملوك، ورغبتهم في السيطرة على الإنسان عبر الترويج والترهيب.

### تناقضات متفاوتة

يحكي المسلسل قصة نور، (الفنانة نور اللبنانية) مذبة الراديو الشهيرة ذات التفكير العقلاني، الناشطة على مواقع التواصل الاجتماعي التي تعيش أحلاماً متكررة غير مفهومة تكون حاضرة فيها بجسدها وروحها، تبدأ بشخص يموت وسط أسرته، ثم تنتقل إلى هليلج طويل في آخره رجال يجلسون بشكل دائري ويردون ترانيم تتعلق بالعالم السفلية وأسيادها.

وتعيش صديقتها حنان (الفنانة المصرية دينا فؤاد) واقعا متشابهاً؛ قوى شيطانية تطاردها باستمرار، كتكتشف أنه أحد ملوك الجن الذي يعشقها ويعتني بها منذ صغرها حتى وصولها إلى مرحلة عمرية تجعله قادراً على الاقتراض بها، ويترقب بها في كل مكان وخاصة دولاب ملابسها، ويحاول إغراءها بمعارفة عن الأمور الغيبية، وكشف كنوز العالم المخفية كي ترضى بوجوده. لا يقدم "جمال الحريم" الرابطة المشتركة التي تجعل الصديقين نور وحنان مستهدفتين من ملكي الجن، إلا لأسباب درامية بحثة تسمح للسيناريو بحلق مقارنة بين نمطين من البشر، أحدهما يقترن التسليم والانصياع للوعود السفلية والإنغماس فيها، والأخر يظل عقله رافضاً مهما كانت الأحداث والضغوط ليصل في النهاية إلى الانتصار.

ويحمل العمل تناقضات كثيرة في ما يتعلق بالدجالين، ففي البداية يصورهم كاتنهايين مخادعين تصل مطالبهم إلى درجة بيع سيده لوحدة سكنية وفاء لطلب مشعوذ يعدها بتحريرها من المس، لكن يعود ليجعل تهديدات أحد المشعوذين لنور واقعا، حيث لن تجد طعم الراحة بعد إبلاغها عنه الشرطة، ما يجعله صادقا في حديثه وليس كاذباً. يضم العمل في أحشائه ترويجا كبيرا للفكر الصوفي وتغيراته نحو التحديث، وحول الصورة النمطية عن مشايخه ومريديه، من زاهدين فقراء يرتدون البردة والخرقا إلى أشخاص في مهن حياتية متنوعة مرموقة، بينها معدو برامج إذاعية ومحاسبو شركات وطلاب بالجامعة، يرتدون أفضل الملابس ولدى بعضهم سيارات فاخرة. ويقدم المسلسل الصوفية كحل أساسي لمواجهة التشدد والمغالاة

محمد عبدالمهدي  
صحافي مصري

وجد البعض من العاملين في مجال الدراما المصرية، في الغيبيات والعالم اللامرئية فرصة لتغيير جلدتها، والتحرر من المضامين المعتادة، اعتماداً على تراث شعبي راسخ يؤمن بإمكانية التواصل المحسوس بين البشر والقوى الخفية، ويعزو إليها الكثير من تعقيدات الحياة والأزمات النفسية.

ينتمي مسلسل "جمال الحريم" الذي تعرضه فضائية "أون دراما" المصرية حالياً، إلى اتجاه بدأ يتشكل بقوة منذ سنوات قليلة، يقوم على تضمين عوالم الجن والدجل في السياق الدرامي، استناداً على تراث متداول ومكتوب حول الجن والقرين، لكنه تعدى ذلك إلى المزج بين جدليات العلم والدين، والصراع بين الشيطان والإنسان.

ويرتكز العمل، الذي كتبت قصته المؤلفة سوسن عامر، في أول تجاربها الفنية، على تراث مكتوب عن تخيلات عوالم الأرواح وطلاسمها ورموزها، ويبدو ظاهراً تأثيرها بالكتاب المثير للجدل "شمس المعارف" لأحمد بن علي البوني، وترانيم تحضير الجن وتسخيرهم، مع تنقلات مستمرة بين عالمي الحقيقة، والخيال أو الأحلام.

وتجاوز المسلسل كثيراً الخطوط الحمراء التي رسمها التراث الدرامي المحلي للرب، في ظهور مرادة الجن العاشقين بصورة طبيعية لا يختلفون عن البشر أو صورة مشوهة شديدة التنفير، فجاءوا كاشباح بيضاء ذات



العمل يقدم الصوفية كحل أساسي لمواجهة التشدد والمغالاة للذين تتسم بهما التيارات الإسلامية الأخرى